

ساعة في بيت مرب

[الأستاذ أحمد فهمي العمروسى بك ناظر معهد التربية]

بقلم المريية الكبيرة الأتسة زينب الحكيم

الآنسة زينب الحكيم من كبريات المريات اللائى تخصصن فى رياض الاطفال - بجامعة (فريال) بلندن - تخصصاً واسع المدى ، وقد خدمت التعليم اثنتى عشرة سنة ما بين مدرسة وناظرة فى وزارة المعارف العمومية ، فكانت موضع اجلال وتقدير .
وقد يدهش القارىء اذا ما علم أن الآنسة المهذبة بتجميع الى اصطلاحها بعلوم التربية ، اطلاقاً كبيراً فى علوم الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامى ، معدوم النظير . وأذكر - لهذه المناسبة - أنى اختلفت معها مرة فى نس من نصوص « ابن عربى » العميقة ، فأدهشنى منها مناقشتها لى فى ذلك النس مناقشة صوفية فلسفية عميقة دلت أكثر من خمس ساعات .
أليس ذلك من النزابة بمكان ؟ أجل ! ولحكنتك منى علمت أنها شقيقة كبرى المريات الآنسة نور الهدى الحكيم ، وقضاهن السيدة نظلة الحكيم سعيد ، منى علمت ذلك كله زالت عنك البعثة ؟
المحرر

حين كان الناس فى غفوتهم
قام منهم نابه الذكر الذى
« أحمد فهمى » (عمروس) التى
ينثر الدر على ندوانه
فاستثار العزم فى زمرة
سدوا الرأى وهبوا أنجما
كان أيقاظ النهى فى ممزل
قد تجلى فى المقام الأول
أنجبتة من كرام كُمل
مستفيض العلم بالبحث الجلى
من رجال العلم بين الجفصل
كل نجم فى مدار ينجلي

نم هاجم قلدوه « معهداً »
ليتهم ما قربوا عزله
هو أولى بالعلم العامل
كيف يمتاض عليم بالخلى ؟

مالم القطر مرب ، حققوا
هاكم فذلكه عن ساعة
كيف يحيا ، فى جنان المتزل
قد قضيناها « بدار الأمل »

نعم إنها ساعة من أقيم ساعات الحياة النافعة التى تراهى فيها للعين مواهب البشر فى سمو مداركها ، وجمال القنون فأفضة عن تلكم المدارك الحساسة ، المنبعث منها جمال الذوق وبهاء العبقرية .

ولعمري إن الزيارة التي اتبعت لي لمنزل حضرة المربي الكبير الأستاذ «العمروسي بك» ناظر معهد التربية، مع نفر غير قليل من المهتمين بالعلوم والفنون، لتؤيد ما أشارت إليه جريدة «الأهرام»، بمناسبة حفلة التعارف التي أقامها طالبة «معهد التربية»، حيث قالت: «كانت الحفلة جامعة بين جلال العلم وجمال الفن، وتجلت فيها مظاهر التفاهم والمحبة، التي تسود معاهد العلم»، وهذه الإشارة قد نطقت عن حق وأدت أشمل معنى يعبر عن بيئة يترأسها أمثال «العمروسي بك»، والشئ من معدنه لا يستغرب.

فأنا ما كدنا نصل المنزل الذي تصورناه بيت الصيد، حتى سألنا (البواب) الجالس أمام البوابة الأنيقة، كم رقم المنزل؟ فأجاب على الفور: تريدون منزل «العمروسي بك»؟ تفضلوا - قلنا يقرأ الكتاب من عنوانه، وما هي إلا ثوان حتى قابلنا على درج السلم الرخامي الجليل صاحب الدعوة ببشاشته الوسيمة، وأجلسنا في حجرة أقل ما يقال فيها إنها تحفة فنية قيمة، وخيل لنا أن هذا كل ما هنالك من تحف ومعرض دائم؛ ولكن بعد قليل وقف الأستاذ «العمروسي» وأخذ يفرجنا ويشرح لنا محتويات الحجرة النفيسة، فإذا ما اتهمينا من هذه انتقلنا إلى أخرى أجمل منها، وقد مدت في وسطها مائدة الشاي التي تعتبر بحق من ضمن التحف، لما اصطبح به ترتيبها من روح الفن العربي والدوق المصري العالي، ثم انتقلنا إلى حجرة نالتة يطلق عليها «المكتبة»، ولكننا عند ما توسطناها لم نر فيها أثراً للكاتب ظاهراً، وما هي إلا لحظة حتى بدأ العالم - بما تكن الدواليب المنسقة حول الجدران - بإزاحة الأقفال المتواضعة السهلة الاستعمال - وكانت عبارة عن عصافير من الخشب -، فرأينا بدءاً من الكتب، أما عن شكل (دولاب) المكتبة فالأجدد أن يراه الإنسان بنفسه لصعوبة تقريب وصفه إلى خيال القارئ.

وفتح (دولاباً) آخر ينوء بما فيه، وأنى الكرم الحائمي إلا أن يحمل كل فرد سفرين من بعض ما ديجته يراعه؛ وفي هذه الحجرة رأينا أعجوبة الفن العربي (وهو دولاب يشبه دواليب الملابس الحديثة، غير أنه أقل منها حجماً وارتفاعاً، وقد صنع بابه من أجزاء زخرفية كلها متحركة - ولم نعلم كيف تتحرك - وإذا نظرت إلى بعضها على غير احتياط، خيل لك أن حداثتها نجلا تنظر إليك).

ويشبه هذا (الدولاب) آخر رأيناه في الحجرة الأولى، أما عن فتحات هذه (الدواليب) العتيقة وكيفية استعمالها، فالوصف فيها لا يفيد والأفضل رؤيتها؛ هذا عدا مجاميع الزجاج المكثف الطريف، والأواني القيشانية النادرة المثال، والأقداح (الشفقشية) من الفضة، والامطارات التي تدل على التفنن في الكتابة ودقة التنسيق وسمو الخيال وحذق الصانع؛ أما عن السجاد فحدث ولا حرج.

بعد كل هذه الجولة العامرة انتقلنا إلى حجرة البيان والحلوى، وقد أشجقتنا الأنامل الطاهرة

بحسن توقيتها الفطري ، نعم أنامل « عائدة » التي ربما لا تتجاوز النامنة من العمر ، والتي يحق أن يطلق عليها اسم « ليلي » ، ويطلق اسم « سعدى » على شقيقتها الكبرى ، لأن الجو العربي البديع ترك طابعه الأنيق على الشقيقتين العمروسيين .

ومن سمو البيئة بأجمعها لم تحرمنا ليلي الصغيرة « عائدة » ألعابها الرياضية ، فتارة تذهب إلى الحديقة تدير شئون أرجوحاتها ، وطوراً تداعب حمامها الوديع ، ومرة تحضر إلى والدها - وافرحتها به - ، وقالت له : ضع ذراعك على خصرك من فضلك (بابا) ، فلي طلبها ، فانسكأت بذراعها الزفيق على ساعده ولامست رأسها الأرض ، ثم تركت ذراع والدها فكونت قوس نصر أمامنا ، وهكذا حقق الأستاذ « العمروسي بك » رسالته الوالدية ، وأجاب نداء (فروبل) القائل « دعونا نمش مع أمثالنا » .

وعند ما عزمنا على الانصراف بعد أن مكثنا ساعات حسبناها دقائق - طاف بنا في حديثه الغناء ، التي ابقم فيها جمال الفن العربي أيضاً ، وخرجنا محملين في عقولنا وأفئدتنا وايدينا في غير عناء .

• هذه صورة تقريبية من جولة في بيت مرب أقل ما يقال فيه : إنه من أقوى دعامات النهضة العلمية والفنية والاصلاحية في مصر ؛ أما عن متحفه الدائم النفيس ، فلنا فيه عودة اخرى ، غير إنه لفت نظري للأبواب العشرة العديسة النظير ؛ وقد أفهمتني هذه الزيارة معناها الحقيقي إذا أردنا نسبتها إلى الأستاذ « العمروسي » فيكون تفسيرها كالآتي :

الباب الأول : النظام .

» الثاني : اليقظة ورحابة الصدر .

» الثالث : الذوق السليم .

» الرابع : تاريخ السلف .

» الخامس : الفن الحديث .

» السادس : التسامح .

» السابع : الأبوة الصالحة .

» الثامن : الانسانية العميقة .

» التاسع : التربية أو التضحية العظمى .

» العاشر : الاطمئنان .

وهذه الأبواب العشرة قد أدى رسالتها « العمروسي بك » على أكل وجه وأنتم تقع ، وهو سمح في نشاطه وماله ووقته ، فليهنأ به طلبة « معهد التربية » الذي يتوجه برياسته هذا العبقري المتواضع .

زينب الحكيم

N. F.U. London